

المحاضرة الثالثة

تأثير الحملات العسكرية على بنية المجتمع الجزائري

تعتبر الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر في عام 1830 نقطة تحول تاريخي عميق، حيث أسفرت عن تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الجزائري. يستهدف هذا البحث دراسة الآثار السوسولوجية التي خلفتها تلك الحملات على المجتمع الجزائري، مع التركيز على التغيرات في التركيبة الاجتماعية والهوية الثقافية.

من أبرز الحملات العسكرية نجد:

1. حملة 1830: احتلال الجزائر: حيث بدأت الحملة في 14 يونيو 1830 بقيادة الجنرال برتيني، حيث هاجمت القوات الفرنسية الجزائر العاصمة، حيث استخدمت القوات البحرية والبرية قوة ضخمة تضمنت حوالي 37,000 جندي و400 سفينة، واستسلام الجزائر العاصمة في 5 يوليو 1830، وسقوط حاكم الجزائر باي حسين، وتم الإعلان عن الجزائر كجزء من الإمبراطورية الفرنسية مما أطلق مرحلة من الاحتلال الاستعماري.

2. حملة 1835: معركة المدية: حيث تمت الحملة لتأمين السيطرة الفرنسية على منطقة المدية، حيث كانت هذه المنطقة مركز للمقاومة، حيث شهدت المعركة اشتباكات عنيفة بين القوات الفرنسية والمجاهدين الجزائريين، حيث تكبدت القوات الفرنسية خسائر لكنها تمكنت في النهاية من السيطرة على المنطقة.

3. حملة 1840: حملة الدوق دو روفيجو: حيث قاد الدوق دو روفيجو حملة عسكرية شاملة بهدف تأمين السيطرة على المناطق الداخلية، وتضمنت الحملة اجتياح القرى ومهاجمة القبائل الثائرة، حيث تم إحباط العديد من محاولات المقاومة وفرض الاحتلال سيطرته على جزء كبير من البلاد.

4. حملة 1845: معركة قسنطينة: تم تنفيذ الحملة لقمع الثورة في قسنطينة، والتي كانت مركزاً مهماً للمقاومة، حيث استخدمت القوات الفرنسية قصفاً مدفعي وقوات مشاة كبيرة لاحتلال المدينة وتم السيطرة الفرنسية على قسنطينة ولكن بتكلفة بشرية كبيرة.

5. ثورة 1871: الثورة الجزائرية الكبرى: استجابة للضغوط الاقتصادية والاجتماعية، نشأت ثورة في عدة مناطق خاصة في منطقة الأوراس، قاد الثوار الأمير عبد القادر الذي أصبح رمزاً للمقاومة الجزائرية.

6. حملة 1914-1918: الحرب العالمية الأولى: تم تجنيد العديد من الجزائريين للقتال في صفوف الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، حيث خدم نحو 200,000 جزائري في الجيش الفرنسي وتم إرسالهم إلى الجبهات الأوروبية، حيث تكبد الجيش الفرنسي خسائر كبيرة، مما أدى إلى زيادة الضغوط على الجزائر بسبب فقدان الشباب.

7. ثورة 1954-1962: حرب التحرير الجزائرية: بدأت الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر 1954 بقيادة جبهة التحرير الوطني (FLN) واعتمدت الثورة على أساليب حرب العصابات، مما جعلها تستقطب دعم شعبي واسع.

ومن بين التغيرات التي تركتها الحملات العسكرية في البنية الاجتماعية في الجزائر نجد:

1. **الطبقات الاجتماعية:** تدهور مكانة الطبقات التقليدية (مثل الأعيان والعلماء) بفعل الاستعمار، وظهور طبقات جديدة مثل التجار المحليين الذين تعاونوا مع المستعمر.

2. **التحولات في العلاقات الاجتماعية:** تغييرات في العلاقات بين الأفراد والمجموعات المختلفة (عائلات، قبائل) نتيجة للضغوط العسكرية والسياسية، وفقدان الروابط القبلية التقليدية لصالح العلاقات الحديثة.

3. **الهيكلة الأسري:** تأثير الاستعمار على القيم الأسرية، حيث أصبح للنساء دور أكبر في الاقتصاد بسبب غياب الرجال في الحرب أو العمل.

ومن بين التأثيرات على الهوية الثقافية:

1. **التعليم واللغة:** فرض اللغة الفرنسية في المؤسسات التعليمية وأثرها على الهوية الثقافية، وانخفاض قيمة التعليم العربي والديني.
2. **الديانة:** تأثير الحملات العسكرية على ممارسة الدين الإسلامي وتفاعل المجتمعات مع العادات الفرنسية، وتعزيز الحركات الدينية المقاومة مثل دور الزوايا.
3. **الهوية الوطنية:** تعزيز الشعور بالوطنية والمقاومة بين الجزائريين مما أدى إلى نشوء حركات مقاومة مناهضة للاستعمار.

ومن بين التغيرات الاقتصادية نجد:

1. **التحولات الاقتصادية:** استغلال الموارد الجزائرية من قبل الاستعمار وتأثيره على الاقتصاد المحلي، وتدهور الأنشطة الاقتصادية التقليدية وظهور الأنشطة الحديثة التي تركز على الفوائد للمستعمار.
2. **الهجرة:** تأثير النزوح والهجرة الناتجة عن الحملات العسكرية على التركيبة السكانية.

أما التأثيرات السياسية نجد:

1. **فقدان السيادة:** انهيار الدولة الجزائرية التقليدية وفقدان السلطة السياسية، وتغيير النظام السياسي بفرض نماذج غربية لا تتماشى مع التركيبة الاجتماعية الجزائرية.
2. **الوعي السياسي:** تكوين وعي سياسي مقاوم نتيجة للممارسات الاستعمارية، مما أدى إلى تشكل حركات التحرر.

توضح هذه الحملات العسكرية الأثر العميق الذي تركه الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري، بدءًا من فقدان السيادة السياسية إلى التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. لقد كانت المقاومة الجزائرية مستمرة، وأسفرت هذه الديناميات عن تحول المجتمع الجزائري وبروز الهوية الوطنية.

هذه التأثيرات ساهمت في تشكيل الحركات الوطنية في فترة الاستعمار وما بعدها.

